العددِ ١ 21A حزيران ٢٠٢٦
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A1 Jun2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

توظيف التفسير القرآني في معالجة قضايا البيئة والتنمية المستدامة

زينب حسين عبيد خضير
/ الجامعة المستنصرية / رئاسة الجامعة – مركز التعليم المستمر
zainebhussain74@uomustansiriyah.edu.iq

تناول هذا المبحث التأصيل التشريعي للبيئة في القرآن الكريم، من خلال بيان الأسس التي أرساها القرآن للمحافظة على عناصر البيئة المختلفة. وقد بدأ ببيان مبدأ الاستخلاف في الأرض بوصفه أساساً لمسؤولية الإنسان تجاه الكون وموارده، ثم تناول مفهوم عمارة الأرض ودوره في تحقيق التنمية والإصلاح. كما عرض الآيات المتعلقة بالماء وأهميته في استمرار الحياة، وبيّن مظاهر العناية القرآنية به وسبل المحافظة عليه. وتطرق كذلك إلى مكانة الحيوان في القرآن الكريم ووجوه الانتفاع به ضمن إطار من الرحمة والرعاية. ثم ناقش الآيات التي نهت عن الفساد في الأرض، موضحاً آثاره على الإنسان والموارد الطبيعية ومقومات الحياة. ومن خلال ذلك سعى المبحث إلى إبراز الرؤية القرآنية المتكاملة في حماية البيئة وتحقيق التوازن بين استثمار الموارد والمحافظة عليها، بما ينسجم مع مقاصد الشريعة وأهداف التنمية المستدامة.الكلمات المفتاحية : الاستخلاف ، الموارد الطبيعية ،الافساد البيئي ، التنمية المستدامة

Abstract:
This section examines the legislative foundation of the environment in the Holy Quran, by explaining the principles established by the Quran for preserving the various elements of the environment. It begins by explaining the principle of human stewardship (Istikhlaf) on earth as the basis for human responsibility towards the universe and its resources. It then addresses the concept of populating/developing the earth (Imarat al-Ard) and its role in achieving development and reform. It also presents the verses related to water and its importance in sustaining life, highlighting the Quranic care for it and the means of its preservation. It further discusses the status of animals in the Holy Quran and the ways of benefiting from them within a framework of mercy and care. Subsequently, it discusses the verses that prohibit corruption (Fasad) on earth, clarifying its effects on humans, natural resources, and the essentials of life. Through this, the section aims to highlight the integrated Quranic vision for environmental protection and achieving a balance between exploiting resources and preserving them, in harmony with the higher objectives of Islamic law (Maqasid al-Sharia) and the goals of sustainable development.**Keywords:** Stewardship, Natural resources, Environmental corruption, Sustainable development

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول رب العالمين، محمدٍ المصطفى وعلى أهل بيته الطاهرين الهداة المهديين.أمَّا بعد: تعد قضية البيئة من أبرز التحديات التي تواجه البشرية في عصرنا الراهن، حيث تزايدت مظاهر التلوث والتغير المناخي واستنزاف الموارد الطبيعية، مما يهدد استمرار الحياة على الأرض. وفي ظل هذه الأزمات، يبرز النص القرآني كمرجعية أصيلة تقدم رؤية متكاملة تجمع بين التشريع والتربية، وتؤسس لعلاقة متوازنة بين الإنسان والكون، قائمة على المسؤولية لا الاستغلال، وعلى العمران لا العبث.وتنطلق أهمية هذا البحث من كونه يسعى إلى استقراء الأسس التشريعية والتربوية التي أرساها القرآن الكريم لحماية البيئة، وذلك في وقت تزداد فيه الحاجة إلى مرجعية أخلاقية وإيمانية تضبط سلوك الإنسان تجاه محيطه الطبيعي، وتقدم بديلاً عن النماذج الاستهلاكية التي تؤدي إلى الإفساد البيئي. وتتمثل إشكالية البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف يؤصل القرآن الكريم للرؤية البيئية من خلال مفاهيم الاستخلاف والإعمار، ورعاية الموارد والتنوع البيولوجي، والتحذير من الإفساد، وما السبل التربوية التي يعزز بها الوعي البيئي لتحقيق التنمية المستدامة؟

ويهدف هذا البحث إلى بيان الرؤية الكونية القرآنية للبيئة من خلال مفهومي الاستخلاف والإعمار، والكشف عن مظاهر رعاية القرآن للموارد الطبيعية والتنوع البيولوجي، واستعراض آيات التحذير القرآني من الإفساد البيئي وآثاره، واستنباط السبل التربوية في النص القرآني وأثرها في بناء الوعي البيئي وتحقيق التنمية المستدامة. ويعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية المتعلقة بكل محور، ثم تحليل دلالاتها اللغوية والتشريعية والتربوية، والخروج بدلالاتها التطبيقية في مجال حماية البيئة وتحقيق التنمية ويتضمن البحث المحاور التالية: أولاً الرؤية الكونية القرآنية للبيئة (مفاهيم الاستخلاف والإعمار)، وثانياً رعاية الموارد والتنوع البيولوجي في النص القرآني، وثالثاً التحذير القرآني من الإفساد البيئي، ورابعاً السبل التربوية في النص القرآني وأثرها في الوعي البيئي والتنمية المستدامة.

التأصيل القرآني للتوازن البيئي وأبعاد الاستدامة

اولاً: الرؤية الكونية القرآنية للبيئة (مفاهيم الاستخلاف، الاعمار):

تتجلى أولى ركائز الرؤية الكونية القرآنية للبيئة في تحديد الغاية الأسمى من إيجاد الإنسان على هذا الكوكب؛ إذ لم يكن خلقه عبثاً، بل ارتبط بوظيفة وجودية كبرى هي استخلاف الأرض وعمارتها وفق منهج يحقق مفهوم التنمية المستدامة في أبهى صورها. وقد نص القرآن الكريم على هذا التكليف الإلهي في مواضع شتى، جاء في مقدمتها قوله سبحانه وتعالى في سياق حواره مع الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، صفحة ٣٠) ان الله تعالى يريد أن يخلق في الأرض خليفة فذلك قوله تعالى وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ، يعني الذي هم في الأرض إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يعني أريد أن أخلق في الأرض خليفة سواكم . فشق ذلك عليهم وكرهوا ذلك قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها ، يعني أتخلق فيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها كما أفسدت الجن وَيَسْفِكُ الدِّماءَ كما سفكت الجن وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ، أي نصلي لك بأمرك . ويقال معناه : نحن نسبح بحمدك ونحمدك وَنُقَدِّسُ لَكَ . قال بعضهم : نقدس أنفسنا لك ، يعني نطهر أنفسنا بالعبادة عن المعصية . وقال بعضهم : نقدس لك ، أي ننسك إلى الطهارة ونقدس أنفسنا لك . (العلوم، ٣٧٣هـ، صفحة ٤٠/١) وكما ورد في القرآن الكريم في سياق بيان الاستخلاف في الأرض قوله تعالى ﴿وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (الانعام، صفحة اية ١٦٥) قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأمته: ﴿والله الذي جعلكم أيها الناس خلائف الأرض﴾، أي أنه سبحانه اي أن الله سبحانه وتعالى قد أهلك الأمم والقرون السابقة، ثم جعل هذه الأمة مستخلفة في الأرض، تقوم مقام من سبقها، فتتولى عمارتها وإصلاحها واستثمار مواردها. وبذلك يكون الاستخلاف إسناداً لمهمة البناء والإحياء بعد الإهلاك، لا مجرد تعاقب زمني بين الأمم. والخلائف جمع خليفة، كما أن الوصائف جمع وصيفة، ويُقال في اللغة: خلف فلانٌ فلاناً في داره إذا قام مقامه فيها، فهو خليفة له. ومن هنا يتضح أن مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمارة الأرض وإقامة نظامها على أسس الإصلاح وعدم الإفساد. (الطبري، ١٤١٥-١٩٩٥، صفحة ٨/١٥٠)ولم يقف البيان القرآني عند تقرير مبدأ الاستخلاف كتشريف وتكليف، بل تضافرت النصوص القرآنية لتؤكد أن الغاية الوظيفية المحورية لهذا الاستخلاف تتجسد في عِمارة الأرض وبنائها على أسس الصلاح والنمو. ومن صريح الآيات في هذا الباب قوله سبحانه وتعالى وذلك في مثل قوله تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ, فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً, وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا) (الروم، صفحة اية ٩) ويُفهم من قوله تعالى أثاروا الأرض أنه يشير إلى مختلف صور الإعمار والاستخدام البنّاء للأرض، بما يشمل حرثها للزراعة، وغرس الأشجار وتشجيرها، وشقّ الأنهار، إضافة إلى إنشاء المباني وتأسيس العمران عليها. ويُلاحظ أن هذا التعبير جاء بصيغة عامة ذات دلالة شمولية، إذ يتسع ليشمل جميع الأعمال التي تُعدّ من مقدمات عمارة الأرض وتنميتها. وبذلك يرتبط هذا المعنى ارتباطاً مباشراً بمفهوم الاستخلاف في الأرض، الذي يقوم على إعمارها واستثمار مواردها وفق ما يحقق النفع والاستدامة (الشيرزي، صفحة ١٢/٥٧٩)ويرى الباحث أن مفهوم الاستخلاف في الأرض في ضوء النصوص القرآنية لا يقتصر على مجرد التمكين أو التعاقب بين الأمم، بل يتعدى ذلك ليشكّل تكليفاً إلهياً واضحاً بعمارة الأرض وإصلاحها واستثمار مواردها بما يحقق مقاصد الاستخلاف. إذ يتبين من خلال الآيات القرآنية أن الإنسان مُناط به دور إيجابي في البناء والتنمية، وأن العمارة تمثل الوجه العملي للاستخلاف، في حين يشكّل الإفساد انحرافاً عن هذه الوظيفة الأساسية التي خُلق من أجلها الإنسان في الأرض

ثانياً :رعاية الموارد والتنوع البيولوجي في النص القرآني:اولى القرآن الكريم عنايةً كبيرةً بالموارد الطبيعية بوصفها من المقومات الأساسية لاستمرار الحياة وتحقيق التوازن البيئي، إذ تناولها باعتبارها آياتٍ دالةً على قدرة الله تعالى وحكمته في خلق الكون وتنظيمه، كما حمّل الإنسان مسؤولية المحافظة عليها وحسن استثمارها. وتُعدّ موارد الماء والنبات والحيوان من أبرز العناصر التي حظيت باهتمام القرآن الكريم، لما لها من أثرٍ مباشر في استدامة الحياة وتحقيق المنفعة للإنسان وسائر الكائنات.ومن هذا المنطلق، ارتبطت نظرة الإنسان إلى البيئة بمنظومته الفكرية والقيمية التي تنعكس على سلوكه وتصرفاته تجاه الموارد الطبيعية. لذلك عدَّ الله سبحانه وتعالى دين الإسلام نعمةً عظيمةً تضاهي في قيمتها جميع النعم المادية التي أنعم بها على بني آدم، لما يشتمل عليه من هدايةٍ وتشريعٍ ينظمان علاقة الإنسان بربه وبالكون من حوله، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣، المائدة).وتأسيساً على ذلك، تتضح الأهمية الكبيرة التي أولاها الوحي لطبيعة العلاقة الفكرية والسلوكية بين الإنسان والبيئة، إذ إن الإنسان يعيش أولاً ضمن بيئةٍ فكريةٍ وقيميةٍ تتشكل من المبادئ والمثل والأخلاق التي يؤمن بها، ثم ينعكس أثر تلك المنظومة على تعامله مع البيئة المادية ومواردها، سلوكاً وممارسةً وأهدافاً. ومن ثمّ فإن صلاح البيئة أو فسادها يرتبط إلى حدٍّ كبير بصلاح الإنسان الفكري والقيمي ومدى التزامه بمنهج الاستخلاف والإعمار الذي قرره القرآن الكريم. (زرمان، صفحة ١٦)تُعدّ موارد الماء والنبات والحيوان من أبرز الموارد التي حظيت بعنايةٍ قرآنيةٍ واضحة، لما تمثله من أسسٍ رئيسيةٍ في استمرار الحياة وتحقيق التوازن البيئي ومن أهم الموارد التي تجب العناية بها، والمحافظة عليها : الماء، أصل الحياة للإنسان والحيوان والنبات، كما قال تعالى (وجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلّ شَيْءٍ حَي) (الانبياء).والمعنى في قوله تعالى إن كل شئ صار حيا ، فهومجعول من الماء . ويدخل فيه الشجر والنبات على التبع . وقال بعضهم : أراد بالماء النطف التي خلق الله منها الحيوان (الطوسي، صفحة ٧/٢٤٣). الماء ثروة غالية نفيسة، ولكن الناس لا يقدرونها حق قدرها ، لأن الله تعالى هيأها للناس بالمجان، في الأنهار والبحيرات والأمطار، كما قال تعالى : (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمراتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لتجري في البحر بأمره وسخر لكُمُ الأَنْهَار) (ابراهيم) ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل الأشياء الضرورية للناس أرخص الأشياء، لأنه هياها للناس بوفرة، مثل الماء والهواء والحرارة والضياء. وهذا ما جعل كثيرا من الناس للأسف لا يحسون بقيمة هذه النعم إلا إذا فقدوها أو حرموا منها ولو جزئيا أو نسبيا، فيدركون حينئذ قدرها وفائدتها، وبضدها تتميز الأشياء كن مما ينبغي أن يعلم أن الماء خاصة لا يقبل الزيادة والنماء، مثل الثروة النباتية، أو الثروة الحيوانية (القرضاوي، ١٤٢١_٢٠٠١-) كما أشار إلى ذلك القرآن بقوله (وأنزَلْنَا مِن السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ) (المومنون).ومن الموارد المهمة : الثروة النباتية التي يحتاج إليها الإنسان والحيوان في غذائهما، كما قال تعالى :﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبنَا الْمَاءَ صَبا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضِ شَقًّا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأنا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) (عبس ٣٤-٣٢) فهكذا خلق الله النبات متاعا ومنفعة للآدميين ولأنعامهم التي تخدمهم وهي صحيحة، ويأكلونها وهي ذبيحة، فهي في النهاية متاع لهم في الحقيقة (القرضاوي، ١٤٢١_٢٠٠١-) وقال تعالى: (هو الذي جعل لكم الأرض مهدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِن السماء ماء فأخرجنا به أَزْوَاجًا من نبات شتى كُلُوا وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات الأولي اللهى) (طه ٥٣-٥٤)ومن اهتمام المسلمين بالحيوانات : اهتمام علم (الحسبة) - وقد ألف فيه عدد من الكتب في مختلف المذاهب الفقهية - بموضوع الحسبة على البياطرة ، ويقصد بهم الأطباء الذين يعالجون الحيوانات، وهي - كما قالوا - أصعب علاجا من أمراض الآدميين، لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجده من المرض والألم، وإنما يستدل على عللها بالحس والنظر، فيحتاج البيطار إلى حسن بصيرة بعلل الدواب وعلاجها، فلا يتعاطى البيطرة إلا من له معرفة وخبرة، فلا يتهجم على الدواب بقصد أو قطع أو كي وما أشبه ، بغير خبرة ، فيؤدي إلى إهلاك الدابة أو عطبها ، فيلزمه الضمان من طريق الشرع، ويعزره المحتسب من طريق السياسة (القرضاوي، ١٤٢١_٢٠٠١-)هي أن الكائنات الحية الأخرى - غير العاقلة - لها كينونتها الاجتماعية الخاصة، التي تميزها عن غيرها ، وتربط بعضها ببعض. وبتعبير القرآن : كل منها أمة مثلنا . يقول الله تبارك وتعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بجناحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الانعام ٣٨) يدل على أن المجتمعات الحيوانية التي توجد بين كل نوع من أنواع الحيوان إنما تأسست على مقاصد نوعيه شعورية يقصدها كل نوع من الحيوان على اختلافها بالشعور والإرادة كالانسان قوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شئ) جملة معترضة ، وظاهرها أن المفرط فيه هو الكتاب ، لفظ (من شئ) بيان للفرط الذي يقع التفريط به ، والمعنى لا يوجد شئ تجب رعاية حاله والقيام بواجب حقه وبيان نعته في الكتاب إلا وقد فعل

من غير تفريط ، فالكتاب تام كامل هو القرآن الكريم وقد سما الله كتابا في مواضع من كلامه ، كان المعنى أن القرآن المجيد لما كان كتاب هداية يهدى إلى صراط مستقيم على أساس بيان حقائق. (الطباطبائي، صفحة ٨٠_٨١)

ثالثاً : التحذير القرآني من الإفساد البيئي:

المبادئ التي أكدت عليها التنمية المستدامة مبدأُ إعمار الأرض والمحافظة على مواردها، إذ إنَّ الشريعة الإسلامية أولت هذا الجانب عنايةً كبيرةً، وعدَّت الإنسان مسؤولاً عن تحقيق الإصلاح والتنمية ومنع أسباب الفساد والهلاك. وقد وجَّه القرآن الكريم إلى العمل المنتج والسعي في تنمية الأرض بما يحقق مصلحة الإنسان والمجتمع، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود : اية ٦١) ،أي طلب منكم إعمارها واستثمار خيراتها، كما نهى عن كل ما يؤدي إلى الإفساد والإضرار بمقومات الحياة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الاعراف : اية ٥٨) حيث وردت الكثير من الايات القرانية في معنى الفساد

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة : اية ٢٠٥) وقوله تعالى ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص : اية ٧٧) و قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة:اية ١١) وفسَّر أبو منصور الماتريدي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (سورة البقرة: ٢٠٥) بعدة دلالات، فذكر أن المراد بإهلاك الحرث قد يكون إهلاك النساء، لأنهن موضع النسل، وفي هلاكهن انقطاع للذرية واستمرار الحياة. كما قيل: إن المقصود بالحرث الزروع والثمار، وبالنسل الدواب وسائر الأحياء، فيكون الفساد بإتلاف المزروعات وإهلاك الحيوان. وذهب إلى أن انتشار المعاصي والفساد سبب في منع نزول المطر ورفع البركة، مما يؤدي إلى هلاك الناس والحرث وسائر المخلوقات. واحتمل أيضاً أن يكون المراد بإهلاك الحرث قتل بني آدم؛ لأنهم القائمون على عمارة الأرض وزراعتها، وفي هلاكهم خراب للحياة وتعطيل لأسباب الإعمار. وتكشف هذه التفسيرات عن شمول مفهوم الفساد لكل ما يؤدي إلى الإضرار بالإنسان والبيئة وموارد الحياة. (الماتريدي، صفحة ٢/١٠١) ولإفساد يشمل ما إذا كان الفساد عن غير قصد ، والآية من الاحتباك ، ذكر أولا الإفساد ليدل على حذفه ثانيا وثانيا الإهلاك ليدل على حذفه أولا ، وذكر الحرث الذي هو السبب دلالة على الناسل والنسل الذي هو المسبب دلالة على الزرع فهو احتباك ثان.ولما كان من الناس من يفعل الفساد فإذا نهى عنه انتهى بين أن هذا على غير ذلك تحقيقا لألديته فقال مبشرا بأداة التحقيق بأنه لا يزال في الناس من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وَإِذا قِيلَ لَهُ من أي قائل كان اتَّقِ اللَّهَ أيفي الْأَرْضِ أي كلها بفعله وقوله عند من يوافقه لِيُفْسِدَ أي ليوقع الفساد وهو اسم لجميع المعاصي فِيها أي في الأرض في ذات البين لأجل الإهلاك والناس أسرع شيء إليه فيصير له مشاركون في أفعال الفساد ، فإذا فعل منه ما يريد كان معروفا عندهم فكان له عليه أعوان وبين أنه يصل بإفساده إلى الغاية بقوله مسميا المحروث حرثا مبالغة : وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ أي المحروث الذي يعيش به الحيوان. (البقاعي، ١٤٢٧هـ)

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن الفساد في الدلالة القرآنية لا يقتصر على جانبٍ واحد، بل يمتد ليشمل اختلال عناصر الحياة الأساسية التي تقوم عليها عمارة الأرض، كالزرع والماء والحيوان، وما يرتبط بذلك من نظام الاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض. ومن ثم فإن الإفساد يمثل خروجاً عن مقتضيات هذا الاستخلاف، بما يؤدي إلى تعطيل أسباب الحياة وإضعاف مقوماتها، في مقابل ما تدعو إليه النصوص القرآنية من إصلاحٍ وإعمارٍ يضمن استمرار التوازن بين الإنسان والبيئة.

رابعاً: السُّبل التربوية في النص القرآني وأثرها في الوعي البيئي والتنمية المستدامة

إن القرآن الكريم يقدم الدين لا بوصفه مجرد قرار تشريعي ، بل يقدمه بوصفه سنّة من سنن الحياة والتاريخ ومقوّماً أساسياً لخلق الله ، ولن تجد لخلق الله تبديلاً، والعلاقة المعنوية التي تربط الإنسان بالأرض، بالطبيعة، وتربط من ناحية أخرى الإنسان بأخيه الإنسان . هذه العلاقة المعنوية التي سماها القرآن الكريم بالاستخلاف . هذه هي عناصر المجتمع : الإنسان والطبيعة والعلاقة المعنوية التي تربط الإنسان بالطبيعة من ناحية وتربط الإنسان بأخيه الإنسان من ناحية أخرى، وهي العلاقة التي سميت قرآنياً بالاستخلاف ، ونحن حينما نلاحظ المجتمعات البشرية نجد أن المجتمعات البشرية جميعاً تشترك بالعنصر الأول والعنصر الثاني . لا يوجد مجتمع بدون إنسان يعيش مع أخيه الإنسان، ولا يوجد مجتمع بدون أرض أو طبيعة يمارس الإنسان عليها دوره الإجتماعي. وفي هذين العنصرين تتفق المجتمعات التاريخية والبشرية. (الصدر، ١٤٢١هـ)

صوَّر القرآن الكريم الأرضَ على أنّها موطنُ استقرار الإنسان ومجالُ انتفاعه في الحياة، إذ سخّرها الله تعالى له وهيّأ فيها أسباب المعيشة، قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك :اية ١٥) كما أبرز القرآن أهمية الماء بوصفه أساس الحياة والعنصر الرئيس في بقاء الكائنات الحية واستمرارها، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الانبياء :اية ٣٠) واهتمّ القرآن الكريم كذلك بالنباتات والثمار، وعدّها من مظاهر النعمة الإلهية التي تستوجب من الإنسان حسن الاستفادة منها والمحافظة عليها بعيدًا عن الإسراف والإفساد، قال تعالى:(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) (الانعام : اية ٩٩) ولم يقتصر الاهتمام القرآني على ذلك، بل شمل الحيوان أيضًا باعتباره عنصرًا من عناصر التوازن في الحياة، وقد سخّره الله تعالى لتحقيق منافع متعددة للإنسان، فقال سبحانه: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (النحل :اية ٥) وذكر في قوله تعالى: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا) (الاعراف : اية ٥٨) يقول تعالى ذكره : والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه ، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا بإذنه طيبا ثمره في حينه ووقته . والذي خبث فردأت تربته وملحتمشاربه ، لا يخرج نباته إلا نكدا يقول : إلا عسرا في شدة ، والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث هي السبخة لا يخرج نباتها إلا نكدا . والنكد : الشئ القليل الذي لا ينفع كذلك القلوب لما نزل القرآن ، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به ، وثبت الايمان فيه والقلب الكافر لما

دخله القرآن لم يتعلق منه بشئ ينفعه ، ولم يثبت فيه من الايمان شئ إلا ما لا ينفع ، كما لم يخرج هذا البلد إلا ما لا ينفع من النبات . (الطبري، ١٤١٥-١٩٩٥، الصفحات ٢٧٧/٨-٢٧٦)

تكشف الآيات القرآنية عن مبدأ التوازن البيئي بوصفه أحد الأسس التي يقوم عليها نظام الكون، إذ تؤكد أهمية توافر المقومات الطبيعية، كالتربة الخصبة والمياه، في ضمان استمرارية الإنتاج وتحقيق التنمية المستدامة. كما تبرز مفهوم الاعتدال في الانتفاع بالموارد، من خلال توجيه الإنسان إلى استثمار النعم الإلهية دون إفراط أو تبذير، بما يكفل ديمومة هذه الموارد واستمرار عطائها عبر الأجيال المتعاقبة. وتُظهر النصوص القرآنية كذلك طبيعة العلاقة التكاملية بين الإنسان وبيئته، حيث حمّلته مسؤولية رعاية عناصرها والمحافظة على توازنها، وأرشدته إلى حسن إدارة مواردها وفق مبادئ الحكمة والعدل، بما يرسخ مفهوم المسؤولية الاستخلافية ويعزز استدامة الحياة على الأرض.

الخاتمة

ختاماً، يخلص هذا البحث إلى أن القرآن الكريم أسس لرؤية بيئية متكاملة قائمة على التوازن بين استثمار الموارد الطبيعية والمحافظة عليها، من خلال مبدأ الاستخلاف الذي يكرس مسؤولية الإنسان في عمارة الأرض، ورعاية التنوع البيولوجي، والتحذير من الإفساد بجميع صوره. كما تبين أن السبل التربوية في النص القرآني تشكل وعياً بيئياً مستداماً يسهم في تحقيق التنمية بما ينسجم مع مقاصد الشريعة. ويوصي البحث بتفعيل هذه الرؤية القرآنية في المناهج والسياسات البيئية المعاصرة، والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم:

١. ابراهيم بن عمر البقاعي. (١٤٢٧هـ). *نظم الدرر في تناسب الايات والسور* (المجلد ١) لبنات - بيروت.
٢. ابي منصور الماتريدي. (بلا تاريخ). *الماتريدي* (المجلد ٢). لبنان - بيروت.
٣. الشيخ ناصر مكارم الشيرزي. (بلا تاريخ). *الامثل في تفسير كتاب الله المنزل*.
٤. الطباطبائي. (بلا تاريخ). *تفسير الميزان* (المجلد ٧).
٥. الطوسي. (بلا تاريخ). *التبيان في تفسير القران* (المجلد ٧).
٦. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م). *مختار الصحاح*. بيروت.
٧. محمد بن جرير الطبري. (١٤١٥-١٩٩٥). *جامع البيان في تاويل اي القران*. بيروت - لبنان.
٨. محمد بن مكرم بن على أبو الفضل ابن منظور. (١٤١٤هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

٩. محمد زرمان. (بلا تاريخ). التصورالاسلامي للبيئة دلالاته وابعاده. *مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية*، ١٦.

١٠. يوسف القرضاوي. (١٤٢١_٢٠٠١). *رعاية البيئة في الشريعة الاسلامية* (المجلد الاولى). القاهرة.

١١. البقاعي, ا .ب1427) .هـ .(*نظم الدرر في تناسب الايات والسور* .(Vol. 1)لبنات -بيروت.

١٢. السيد محمد باقر الصدر. (١٤٢١هـ). *المدرسة القرانية*.

١٣. الطباطبائي. (بلا تاريخ). *تفسير الميزان* (المجلد ٧).

١٤. الطبري, م .ب .(1995-1415) .*جامع البيان في تاويل اي القران* .بيروت -لبنان.

١٥. الطوسي. (بلا تاشريخ). *التبيان في تفسير القران* (المجلد ٧).

١٦. تفسير بحر العلوم. (٣٧٣هـ). *السمرقندي*.